

توظيف المفسرين للشواهد اللغوية

"قطوف دانية من سور قرآنية" للشيخ الأخضر الدهمة أنموذجا

أ. سليمة عياض

أ.د. أبو بكر حسيني

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

الملخص:

يتناول هذا المقال الشواهد اللغوية في كتب التفسير، إذ يلقي نظرة على مفهوم التفسير اللغوي، ونشأته، ثم يعرض لأصناف الشواهد اللغوية من حيث مصادرها، ممثلة في القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، وكلام العرب شعره ونثره، ثم من حيث موضوعاتها النحوية، والبلاغية، وغيرها. ثم يمضي ليوضح علاقة اللغة العربية بالتفسير، مقدما نماذج من التراث العربي، ومن الدراسات الحديثة، ليصل في الأخير إلى دراسة نموذج من التفسير المعاصرة وهو قطوف دانية من سور قرآنية للشيخ الأخضر الدهمة، والذي يظهر فيه استحضار المفسر للشاهد اللغوي أثناء تحليل للآيات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الشواهد اللغوية، التفسير اللغوي، مصادر الشواهد، موضوعات الشواهد.

Résumé:

Cet article examine les preuves linguistiques dans les livres d'interprétations, il donne le concept d'interprétation linguistique, et ses origines, il présente ensuite les variétés de preuves linguistiques en termes d'origines et en termes de thèmes. Il explique ensuite la relation entre l'interprétation et la langue arabe. En fin il étudie un exemple: l'interprétation de lakhdar dahma dans lequel apparait l'interprétation de langage pour le témoin.

Les mots clés : les preuves linguistiques-livres d'interprétations linguistiques – origines des preuves-thèmes des preuves.

Abstract:

This article examines the linguistic evidence in the books of interpretations, it gives the concept of language interpretation, and its origins, then it presents the linguistic evidence varieties in terms of origins and then in terms of themes. It explains the relationship between interpretation and Arabic. In the end it studied an example: the interpretation of lakhdar Dahma in which appears the interpretation of language to the witness.

Keywords: linguistic evidence - linguistic interpretations books – origins proofs - themes proofs

مقدمة

كان نزول القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ واكب الأحداث ويجيب عن أسئلة الصحابة، متدرجا في التشريع بما يهيا النفوس لقبوله، والالتزام بأحكامه. وكان أن استمر هذا النزول ثلاثا وعشرين سنة، ظل خلالها الرسول الكريم ﷺ يجيب عن استفسارات الصحابة، بحسب ما تقتضيه الأحداث، وتستدعيه المستجدات، وذلك ببيان معنى أو توضيح غموض؛ فكان هذا باعنا حقيقيا لهم لسبر أغوار النص القرآني، الذي كان ولا يزال مرجعا حقيقيا في حياتهم، ولا يمكن الإحاطة به دون فهم لكلام العرب شعره ونثره، وكذا الإحاطة بالعلوم والمعارف التي تتصل به، والتعرف على أسباب التنزيل وملابساته. ويظهر أثر هذا الاستيعاب واضحا في نبوغ بعض الصحابة في التفسير كعبد الله بن

عباس (ت68هـ) الذي كان من أسباب نبوغه، حفظه للغة العربية ومعرفته لغريتها وآدابها، وخصائصها، وأساليبها، وكثيرا ما كان يستشهد للمعنى الذي لا يفهمه من لفظ القرآن بالشعر العربي كما ذكر العلماء.

وبعد تولي عصر الصحابة، أصبحت الحاجة أكثر إلحاحا للعودة إلى لغة العرب، من أجل استجلاء دلالات ومعاني كتاب الله، ولهذا فقد شدد أهل التفسير على ضرورة معرفة المفسر بأوضاع اللغة وأسرارها، هذه الأخيرة التي تعينهم على فهم معاني الآيات، التي يتوقف استيعابها على تذوق لغة العرب المودعة في شعرهم ونثرهم، وفي هذا يقول ابن عاشور: "إن القرآن كلام عربي، فكانت قواعده العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط، وسوء الفهم، لمن ليس بعربي السليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو والمعاني والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبّع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم، وتراكيب بلغاتهم، ويدخل في ذلك ما يجري مجرى التمثيل، والاستئناس للتفسير من أفهام أهل اللسان أنفسهم لمعاني آيات غير واضحة الدلالة عند المولدين" (1).

ولذلك فإن هذا المقال سيحاول أن يعرض لهذا الموضوع الذي يتعلّق بتوظيف الشواهد اللغوية في التفاسير القرآنية، مستعينا بنموذج في التفسير والموسوم: بقطوف دانية من سور قرآنية للشيخ الأخضر الدهمة، والذي لم ينل حظها من الدراسة، خاصة وأنه يقدم لنا باقة من المعاني يستفيد منها دارس القرآن ودارس اللغة على حد سواء. وقبل التفصيل في الموضوع نعرض لمفهوم الشاهد لغة واصطلاحا.

الشاهد لغة

- جاء في لسان العرب: "الشهادة هي خبر قاطع، تقول شهد الرجل على كذا، وأصل الشهادة الإخبار بما شهده، وقال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهَا فَاَمَنُوا سَتَكْبُرُتُمْ﴾ (2)... وشهد الشاهد عند الحاكم بين ما يعلمه وأظهره، وفي الحديث: "سيد الأيام يوم الجمعة، هو شاهد، أي: يشهد لمن حضر صلاته" (3)، وروى شمر في حديث أبي أيوب الأنصاري: أنه ذكر صلاة العصر ثم قال: ولا صلاة بعدها حتى يرى الشاهد، قال: قلنا لأبي أيوب ما الشاهد؟ قال النجم سمّاه الشاهد لأنه يشهد في الليل، أي يحضرو ويظهر" (4) والشاهد اللسان من قولهم فلان شاهد حسن، أي عبارة جميلة. والشاهد الملك، قال الأعشى: (5)

فَلَا تَحْسَبْنِي كَافِرًا لِّكَ نِعْمَةً عَلَىٰ شَاهِدِي يَا شَاهِدَ اللَّهِ فَاشْهَدِ (6)

- وجاء في القاموس المحيط: "الشهادة خبر قاطع وشهد كعلم، وقد تُسَكَّنَ هاؤه، والشاهد الذي لا يغيب عن علمه شيء، وسمي الشهيد بذلك لسقوطه على الشاهدة أي الأرض، أو لأنه عند ربه حاضرا، وصلاة الشاهد صلاة المغرب، واليوم المشهود هو يوم الجمعة، أو يوم القيامة، أو يوم عرفة" (7).

- أما الشاهد عند المفسرين، فقد قال الكفوي: "قال المفسرون: شهد بمعنى (بيّن) في حق الله وبمعنى (أقر) في حق الملائكة، وبمعنى (أقر واحتج) في حق أولي العلم من الثقلين" (8).

الشاهد اصطلاحا: الشاهد اصطلاحا هو جملة من كلام العرب أو ما جرى مجراه، كالقرآن الكريم، تتسم بمواصفات معينة، تقوم دليلا على استخدام العرب لفظا لمعناه، أو نسقا في نظم أو كلام، أو على وقوع شيء إذا اقترن بغيره أو على علاقة بين لفظ وآخر، أو معنى وغيره، وتقديم أو تأخير، واشتقاق أو بناء، ونحو ذلك مما يصعب حصره، ومما هو محسوب في مناحي كلام العرب الفصحاء (9).

والشواهد كما استعان بها اللغويون في إرساء قواعد اللغة العربية، فقد لجأ إليها المفسرون اللغويون في فهم دلالات ومعاني كتاب الله، وكذا في الاستشهاد على لغة القرآن على أنها جاءت على أساليب العرب، وطرائقهم في التعبير والكلام، وحديثنا عن الشواهد اللغوية في كتب التفاسير يقودنا حتما إلى تعريف التفسير اللغوي:

التفسير لغة: التفسير مشتق من مادة فسر، وهي تعني الوضوح والبيان (10)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (11) أي بيانا وتفصيلا، وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف.

- وجاء في القاموس المحيط: "الفسر الإبانة وكشف المغطى كالتفسير، والفعل كضرب ونصر... (12)".
- كما جاء في لسان العرب: "الفسر البيان، وفسر الشيء يفسره - بالكسر ويفسره - بالضم فسرا. وفسره أبانه. والتفسير مثله... ثم قال: الفسر كشف المغطى، والتفسير المراد اللفظ المشكل" (13).
- وقال أبو حيان في البحر المحيط: "... ويطلق التفسير أيضا على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول: فسرت الفرس: عربته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجرى.. (14). إذن ومن خلال تتبعنا لمادة (فسر) في المعاجم العربية يتضح لنا أنها تدور حول معاني الكشف والوضوح والبيان، ومن ثم يمكن القول أن التفسير يُستعمل لغة في الكشف الحسي، وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول.

التفسير اصطلاحا: يقول الذهبي (ت748هـ): "يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يُتكلف لها حد؛ لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكفي في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها. ويرى بعض آخر منهم: أن التفسير من قبيل المسائل الجزئية أو القواعد الكلية، أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد، فيتكلف له التعريف، فيذكر في ذلك علوما أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن، كاللغة، والصرف، والنحو، والقراءات... وغير ذلك" (15).

التفسير اللغوي: أما التفسير اللغوي فيعرفه مساعد الطيار بأنه: "بيان القرآن بما ورد في لغة العرب، فالشق الأول من التعريف وهو بيان معاني القرآن عامٌ يشمل كل مصادر البيان في التفسير، كالقرآن والسنة، وأسباب النزول، وغيرها وأما الشق الثاني، وهو بما ورد في لغة العرب فإنه قيّد واصفٌ لنوع البيان الذي وقع لتفسير القرآن، وهو ما كان طريق بيانه عن لغة العرب" (16).

نفهم من هذا التعريف أن هذا النوع من التفسير يتناول مفردات القرآن الكريم وتراكيبه. وقد انصب اهتمامه في مرحلته الأولى على إعراب القرآن والبحث في غريبه والبحث أيضا في الوجوه والنظائر. وقد قال الطبري (ت310هـ) عن أحق المفسرين بإصابة الحق "... وأصحهم برهانا - فيما ترجم وبين من ذلك - مما كان مدركا علمه من جهة اللسان، إما بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من منطقهم ولغاتهم المستقبضة المعروفة، كائنا من كان ذلك المتأول والمفسر بعد أن لا يكون خارجا تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة، والأئمة، والخلف من التابعين وعلماء الأمة" (17).

نشأة التفسير اللغوي: ظهرت الحاجة إلى شرح غريب مفردات القرآن، والبحث في إعرابه خلال عصر التابعين، فقد كانت السليقة العربية في عصر الصحابة تغني عن السؤال والبحث في هذا الموضوع، وكان من المتعذر أن نجد من ألفاظ القرآن، وإعرابه ما خفي على جمهور الصحب، وإن وجد من تلك الألفاظ ما استعصى على بعضهم، فإن ذلك لا يخفى على جمهورهم حتى لا يعرفه أحد منهم، قال أبو عبيدة (ت210هـ): "فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي ﷺ يسألوا عن معانيه، لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه.. (18)" والسبب في حاجة التابعين إلى شرح غريب القرآن والبحث في إعرابه كما هو معروف يعود إلى:

- ضعف السليقة، وقد كان العرب قديما يربون أبناءهم في البادية حفاظا عليها.
- اختلاط المسلمين العرب من الفاتحين بغيرهم من الأقوام عن طريق المصاهرة.
- دخول عامة العجم إلى الإسلام وحاجتهم لمعرفة تعاليمه.

فظهرت بذلك الحاجة إلى البحث في لغة القرآن بسبب انتشار اللحن، وفساد اللسان، واهتم المفسرون منذ عصر التابعين بإعراب القرآن، وحرصوا على ذلك قبل تعديد علم النحو، لإدراكهم بأن الإعراب هو الذي يقيم المعنى، حتى روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: "تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه" (19)؛ كما اهتم الصدر الأول ببيان غريب مفردات القرآن، وكانوا يحتجون للغريب بنظم الشعراء قبل ظهور الإسلام، فقد أخرج أبو عبيد بسنده إلى ابن عباس "أنه كان يسأل عن القرآن، فينشد فيه الشعر، قال أبو عبيد: يعني بذلك أنه كان يستشهد به على التفسير" (20).

وتضمنت كتب الآثار و التفسير روايات أسندت إلى ابن عباس رضي الله عنه بشأن احتجابه بالشعر الجاهلي لتفسير غريب القرآن، واشتهرت عنه بهذا الخصوص "مسائل نافع بن الأزرق" (21) التي درسها القدامى والمعاصرون على حد سواء . وفي آخر القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني اتسع مجال الاهتمام بلغة القرآن، وتتنوعت العلوم التي تخدم هذه المادة، فظهر علم نقط القرآن وشكله، وعلم الوقف والابتداء، وعلم الغريب، وعلم لغات القرآن، وغيرها من العلوم، وقبل أقرن الثاني الهجري ظهر في إطار الاتجاه اللغوي التأليف في إعراب القرآن الكريم، وفي غريب مفردات القرآن وفي علم الوجوه والنظائر (22).

علاقة التفسير اللغوي باللغة العربية: لا يمكن الحديث عن التفسير اللغوي دون الحديث عن اللغة العربية، وذلك لحاجة هذا الأخير الماسة إليها، فالتفسير لا يستقيم إلا بها ولا تقوم له قائمة إلا عليها؛ ولذلك فقد استعان المفسرون بمخزون اللغة العربية من شعر ونثر في تفسيرهم للقرآن الكريم، واتخذوا من الشواهد اللغوية وخاصة الشعرية منها مرتكزا في إضاءة بعض جوانب النص القرآني، إذ نزل القرآن بلغة العرب متحديا إياهم بروعة سبكه ودقة رصفه وجلال نظمه وسمو بلاغته، فكان من الضروري الاستعانة بعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة من أجل فهم آياته وإدراك معانيه، هذه العلوم التي قعد لها العلماء بالعودة إلى كلام العرب من شعر ونثر بشروط زمانية ومكانية تحدث عنها العلماء وفصلوا فيها الشيء الكثير .

وقد حذى المفسرون -معظمهم نحاة وبلاغيون- حذو علماء اللغة في تفسيرهم لكتاب الله بالرجوع إلى كلام العرب، من أجل الإحاطة بمعانيه في جانبه الفقهي التشريعي واللغوي على حد سواء، فتزاحمت الشواهد اللغوية في كتب التفاسير لتميط اللثام عن معان خفية، وتكشف النقاب عن دلالات نأت وبعدت. وإذا تحدثنا عن الشواهد اللغوية في كتب التفاسير فإننا نجد أكثرها حضورا الشواهد الشعرية؛ وإذ نكاد نجزم بهذه الحقيقة فإننا نستأنس بموقف علمائنا من الشعر ودوره في تفسير القرآن الكريم، حيث ثبت عنهم أنه إذا استعجم عليكم شيء في القرآن فاطلبوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب .

أصناف الشواهد اللغوية في كتب التفاسير: وعندما نتصفح كتب التفاسير اللغوية نستوقفنا هذه الظاهرة اللغوية التي تتمثل في توظيف المفسرين وإيرادهم للشواهد اللغوية، هذه الشواهد التي تناولها العلماء بالدراسة و صنفوها إما بحسب مصادرها وإما بحسب موضوعاتها :

1- الشواهد بحسب مصادرها: اتفق الدارسون قديما وحديثا على تقسيم الشواهد اللغوية من حيث المصادر إلى شواهد قرآنية، شواهد الحديث النبوي، والشواهد من كلام العرب ويمكن أن نتناول كل نوع على حدة:

- الشواهد القرآنية: يتفق المفسرون على نجاعة تفسير القرآن بالقرآن؛ مما يستدعي استحضار المفسر للشاهد القرآني، استجابة لمنزوع معرفي ديني ظهرت بموجبه - قديما وحديثا - عدة كتب باركت منهج تفسير القرآن بالقرآن، ولم يقتصر استحضار المفسر للشاهد القرآني على الجانب الفقهي الديني، وإنما تعداه إلى الجانب اللغوي البحث، حينما يعرض لدراسة ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه وأساليبه المختلفة .

- شواهد الحديث: إن الكلام عن شواهد الحديث مرتبط بالكلام عن المنهج الأثري في التفسير، والمراد بالآثر ذلك الأثر الصحيح الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله، أو الصحابة والتابعين مرفوعاً إليه (23)، يقول ابن كثير (ت774هـ) "فإن

أعيانك ذلك (أي فهم القرآن بالقرآن) فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل لقد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ) -: "كل ما حكم به رسول الله ﷺ مما فهمه من القرآن" (24) ، ومدرك هذا التفسير السنة الشريفة، والرواية الثابتة الصحيحة عن الأهل، أو المرفوعة إلى النبي ﷺ عن الصحابة، أو من في حكمهم من أوائل التابعين.

أ- السنة الشريفة: لاشك أن السنة شارحة للقرآن، ومبينة لمجمله، وموضحة لغامضه، وقد روي عن النبي ﷺ قوله: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" (25) (26).

ب- الرواية الثابتة عن الصحابة أو لأو عن التابعين ثانياً: يقول الحاكم (ت405هـ) "إن تفسير الصحابي الذي شاهد التنزيل له حكم المرفوع إلى رسول الله ﷺ" (27). لأن الصحابي شاهد قرائن الأحوال ومقتضيات المقام ومناسبة الحال، نظراً لقرب عهد الصحابة من الرسول، ودراية الثقافات منهم بأسباب النزول مضافاً إلى الفهم العربي المحض الذي تميزوا به" (28).

ويبدو أن ابن عباس وابن مسعود يحتلان المنزلة الكبرى من بين مفسري الصحابة، فقد كان ابن عباس يُلقب بحبر الأمة، وترجمان القرآن، وقد دعا له رسول الله ﷺ في الدين، ومعرفة وتعلم التأويل كما في بعض الآثار، وهو ذو حس عربي أصيل، واجتهاد بمعاني كتاب الله وهو يعتمد على التفسير القرآني للقرآن والسنة، والاجتهاد المستند إلى اللغة وشواهد الآيات، وكتب التفسير حافلة بأرائه، وكذلك الحال بالنسبة لابن مسعود فقد قال: "والذي لا إله إلا هو ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تتاله المطايا لأتيته" (29). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص الصحابة ﷺ على الإحاطة بكل ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم (30).

الشواهد من كلام العرب: نزل القرآن الكريم بلغة العرب، ولم يكن الصحابة على اطلاع كامل بمفردات اللغة العربية؛ ولذا فقد كانوا يتوقفون في بعض الأحيان عند بعض الكلمات القرآنية لخفاء مدلولاتها، حتى يقع في أيديهم شيء من كلام العرب، يتضح به ما غمض لديهم من القرآن. كما أن طبيعة المرحلة وهي التصدي لتفسير كتاب الله الذي نزل بلغة العرب، تفرض أن يكون من أبرز مصادر التفسير اللغة العربية نفسها، ولذا نجد أن علماء التفسير يؤكدون على ضرورة الاطلاع على اللغة العربية في كل مستوياتها كشرط أساس للتمكن من تفسير القرآن الكريم، وعن هذا المعنى يقول الزركشي (ت794هـ): "روى البيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن أنس قال: "لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا". (31)

وقد لجأ المفسرون إلى كلام العرب شعره ونثره للاستعانة به على تفسير كتاب الله، إلا أن حظ الشعر كان الأوفر وبخاصة الجاهلي منه، "إذ يُعد المرجع الموثوق به لأساليب العرب البلاغية والبيانية، والمصدر الأصيل لمفرداتهم اللغوية وطرقهم التعبيرية، فضلاً عما يحويه الشعر العربي من مآثر العرب ومفاخرها، وأحداث أيامها ووقائعها، فهو الوثيقة الرسمية الأولى التي دونت تاريخ العرب الوجداني والاجتماعي منذ بزوغ الجنس العربي ونبوغ عقليته". (32)

ونظراً لهذه الأهمية التي اختص بها الشعر وجعلته مصدراً ضرورياً لفهم القرآن الكريم، فقد حرص المفسرون على جمع الدواوين وحفظ الأشعار، وإلى هذا يشير أحد الباحثين بقوله: "فقد كان المفسرون من علماء اللغة الذين يحرصون على حفظ الشعر وقراءة الدواوين ودراستها، حتى ذكر الواحدي أنه درس اللغة ودواوين الشعراء على شيوخه العروضي... (33).

وتشير المصادر إلى أن حبر الأمة عبد الله بن عباس ﷺ ورد عنه كثير من الشواهد الشعرية في تفسير أي الذكر الحكيم، يقول عكرمة: "ما سمعت ابن عباس يفسر آية من كتاب الله ﷻ إلا نزع فيها بيتاً من الشعر، وكان يقول: "إذا أعيانكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب" (34).

2- الشواهد بحسب موضوعاتها: أما الشواهد من حيث الموضوعات فهي كثيرة، وذلك لكثرة المسائل اللغوية التي تستدعيها؛ إذ يمكن الحديث عن الشواهد المعجمية، والشواهد النحوية، والشواهد الصرفية، والشواهد الصوتية، والشواهد البلاغية، وشواهد القراءات وغيرها، ونظراً لهذا التنوع سأكتفي بإيراد بعضها على سبيل التمثيل والتوضيح لا الحصر:

- **الشواهد المعجمية:** وهي من أكثر الشواهد حضوراً في كتب التفسير لحاجة المفسر الماسة إلى الإبانة عن الدلالات المعجمية للألفاظ القرآنية، وذلك لتعلقها المباشر بفهم معاني الآيات من جهة، ولارتباطها الوثيق بتحديد الظواهر اللغوية والنحوية والبلاغية والكشف عنها، كالترادف، والتضاد، والمشتراك اللفظي، والمعرّب والدخيل، واختلاف الصيغ والتركيب، والنحو والإعراب، وحروف المعاني، والمجاز، والإيجاز، والتوسع في المعنى، والتقديم والتأخير، وتقارض الألفاظ، والتكرار، والسياق، والتضمين، والقراءات القرآنية، والوجوه المعنوية... وغيرها .

وتحقيقاً لهذا المطلوب فقد ازداد اهتمام التفسير اللغوي بالشواهد المعجمية التي تدعم الكشف عن دلالات الألفاظ القرآنية من حيث أصلها اللغوي، ثم توضيح دلالات هذه الألفاظ داخل النص القرآني باعتبار السياقات التي ورد فيها، والاستعمالات التي استعمل بها في كتاب الله؛ لأن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل يتعداه إلى استنباط الأحكام الشرعية، والقواعد الفقهية التي نص عليها القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك ماجاء في غريب القرآن لابن قتيبة في باب اشتقاق أسماء الله وصفاته، وإظهار معانيها حيث يقول: "ومن صفاته 'سُبُوح'، وهو حرف مبني على فُعُول من سَبَحَ الله إذا نزهه وبرأه من كل عيب. ومنه قيل سبحان الله أي تنزيهاً لله وتبرئة له من ذلك، ومنه قوله ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (35)،

وقال الأعشى: **أقول لَمَّا جَاءَنَا فخرُهُ سبْحَانُ من عِلْقَمَةِ الفَاخِرِ (36)**

أراد التبرء من علقمة، وقد يكون تعجب بالتسبيح من فخره كما يقول القائل إذا تعجب من شيء سبحان الله، فكأنما قال عجباً من علقمة الفاخِر (37).

- **الشواهد النحوية:** يعد الاحتجاج بالشاهد النحوي من أبكر صور الدراسات اللغوية العربية، وذلك لما له من أهمية في إبراز المعاني والدلالات المختلفة من جهة، وفي التأصيل للقواعد التي بنيت عليها العربية من جهة ثانية. وعندما نعود إلى كتب معاني القرآن الكريم التي هي فرع من كتب التفسير فإننا نلاحظ أنها جمعت بين تحليل الآيات القرآنية تحليلاً لغوياً، ثم ذكر ما تعلق بها من شواهد نحوية تعين على تطوير هذا التحليل، وكذلك فإن كتب إعراب القرآن الكريم تعتبر فرعاً عن المعاني، وذلك لتناولها بعض مقاصد المعاني، ويتضح من عناوينها أن أصحابها اهتموا كثيراً بالإعراب، وأن اعتناءهم بالشواهد النحوية يأتي في مقدم ذلك الاهتمام (38)، وعلى سبيل المثال نلاحظ ذلك في "إعراب القرآن للنحاس" الذي أولى أهمية خاصة لإيراد الشواهد النحوية، ومن ذلك ماجاء في إعرابه لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (39)، حيث يقول: "يجوز أن تكون ﴿كُنْتُمْ﴾ زائدة، أي أنتم خير أمة وأنشد سيبويه:

وجِيرَانِ كَانُوا لَنَا كِرَامِ (40) (41).

- **الشواهد البلاغية:** مما لا شك فيه أن هناك علاقة وطيدة بين علمي البلاغة والتفسير، فضلاً عن علوم اللغة الأخرى، وعن هذا المعنى يقول أبوحيان (ت745هـ) في مقدمة تفسيره البحر المحيط: "علم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان..." (42) ثم يقول: "ولنبين أن علم التفسير ليس متوقفاً على علم النحو فقط، كما يظنه بعض الناس؛ بل أكثر أئمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة، ولذلك قَلَّتْ تصانيفهم في علم التفسير، وقلَّ أن ترى نحوياً بارعاً في النظم والنثر، كما قلَّ أن ترى بارعاً في الفصاحة يتوغل في علم النحو. وقد رأينا من يُنسب إلى الإمامة في علم النحو وهو لا يحسن أن ينطق بأبيات من أشعار العرب، فضلاً عن أن يعرف مدلولها، أو يتكلم على ما انطوت عليه من علم البلاغة والبيان، فأنتى لمثل هذا أن يتعاطى علم التفسير؟ والله در أبي القاسم الزمخشري حيث قال في خطبة كتابه في التفسير ما نصه: "إن

أماً العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الأبواب القوارح، من غرائب نكت يلفظ مسلکها، ومستودعات أسرار يدق سلکها؛ علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، كما ذكر الجاحظ في نظم القرآن، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار، وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه؛ لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني، وعلم البيان... (43)، وتحقيقاً لهذا المسلك الذي انتحاه المفسرون في تفسيرهم لأي القرآن الكريم، فقد غصت تفاسيرهم بالمباحث البلاغية، والتي استدعت بدورها استحضار الشواهد اللغوية، ويعتبر تفسير الكشاف للزمخشري من أهم التفاسير التي عنيت بهذا الجانب، ومما جاء فيه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (44) قوله: "...ويجوز أن تضرب الجملة كما هي، وهي ختم الله على قلوبهم مثلاً كقولهم: سال به الوادي، إذا هلك، وطارت به العنقاء، إذا أطال الغيبة، وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته، وإنما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي، وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء، فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغنام (45) التي هي في خلوها عن الفطن قلوب البهائم، أو بحال قلوب البهائم أنفسها، أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لاتعي شيئاً ولا تفقه، وليس له ^{تفعل} في تجافيتها عن الحق ونبوها عن قبوله، وهو متعال عن ذلك، ويجوز أن يستعار الإسناد في نفسه من غير الله الله، فيكون الختم مسنداً إلى اسم الله على سبيل المجاز، وهو لغيره حقيقة، تفسير هذا: أن للفعل ملابسات شتى، يلبس الفاعل والمفعول به، والمصدر، والزمان والمكان، والمسبب له، فإسناده إلى الفاعل حقيقة، وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة، وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهاي الرجل الأسد في جراته ويستعار له اسمه، فيقال في المفعول به: عيشة راضية، وماء دافق، وفي عكسه سيل مفعم (46)، وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل، وفي الزمان نهاره صائم، وليله قائم، وفي المكان: طريق سائر، ونهر جار، وأهل مكة يقولون: صلى المقام، وفي المسبب: بنى الأمير المدينة، وناقاة ضبوث (47) وحلوب وقال:

..... إذا رد عافي القدر من يستعيرها (48) (49)

- شواهد القراءات: إن تعدد القراءات القرآنية واختلافها فوائد جلية وآثاراً بالغة في تفسير كتاب الله تعالى واستنباط المعاني الجديدة واتساعها، ولكن من غير تناقض في المعاني أو تباين بينها، فالاختلاف الحاصل بين القراءات اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، وفي ذلك يقول ابن الجزري (ت833هـ): "وأما حقيقة اختلاف هذه السبعة أحرف المنصوص عليها من النبي ^{صلى الله عليه وسلم} فإِنَّ الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، فإنَّ هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (50) (51). ولا شك أن القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز القرآني، إذ إنَّ كلَّ قراءة بمنزلة الآية، وتعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، فيتعدد القراءات تتسع المعاني وتتعدد، وفي هذا يقول الشيخ الزرقاني: "إن تنوع القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضربٌ من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإعجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز. أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل..." (52). ونظراً لهذه العلاقة المتينة التي تربط بين علمي القراءات والتفسير فقد أبدى علماء التفسير اهتماماً خاصاً بأوجه القراءات وتعددتها في تناولهم للآيات القرآنية من خلال ردها إلى لغات العرب المختلفة، وتحديد المقاصد التي تستنبط من اختلاف القراءة للآية الواحدة، وتأكيداً لما ذهبوا إليه في جانب

القراءات فقد لجئوا إلى استحضار الشواهد اللغوية، ومن ذلك ما جاء في تفسير الطبري لقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (53)، يقول الطبري: "واختلفت القراءة في قوله" وولدا" فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: "وولدا" بفتح الواو من الولد في كل القرآن، غير أن أبا عمرو بن العلاء خص التي في سورة نوح بالضم فقراها "ماله وولده"، وأما عامة قراء الكوفة غير عاصم فإنهم قرعوا من هذه السورة من قوله "مالا وولدا" إلى آخر السورة، وللتين في الزخرف، والتي في نوح بالضم وسكون اللام. وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك إذا ضمت واوه فقال بعضهم: ضمها وفتحها واحد، وإنما هما لغتان مثل قولهم: العدم والعُدْم، والحزن والحُزْن واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الشاعر:

فليت فلانا كان في بطن أمه وليت فلانا كان وُلد حمار (54)

ويقول الحارث بن حلزة:

ولقد رأيت معاشرنا قد ثَمروا مالا وولدا (55)

وقول رؤبة:

الحمد لله العزيز فردا لم يتخذ من ولده شيئا وولدا (56)

وتقول العرب: "وُلِدَ من دَمِي عَقِيْبِيك" (57)، قال وهذا كله واحد، بمعنى الولد، وقد ذُكر أن قيسا تجعل الولد جمعا والولد واحد، ولعل الذين قرعوا ذلك بالضم فيما اختاروا فيه الضم، إنما قرعوه كذلك ليفرقوا بين الجمع والواحد والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك عندي: أن الفتح في الواو من الولد والضم فيها بمعنى واحد، وهما لغتان، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب، غير أن الفتح أشهر اللغتين فيهما فالقراءة به أعجب إلي لذلك". (58)

الشواهد اللغوية في تفسير الأَخْضَرِ الدَّهْمَةِ: اعتنى الشيخ الأَخْضَرُ الدَّهْمَةُ، كغيره من المفسرين بإيراد مجموعة من الشواهد اللغوية في تفسيره أثناء عرضه للمسائل اللغوية المختلفة، وقد استقى هذه الشواهد من مصادرها المعروفة عند علماء اللغة، والتي أشرنا إليها سابقا وهي القرآن الكريم، الحديث الشريف، وكلام العرب شعره ونثره، في مسائل لغوية مختلفة: نحوية، صرفية، بلاغية، وغيرها، من ذلك:

- ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (59)، أثناء تناوله لمسألة لغوية معجمية؛ حيث يقول: "...الضالين اسم فاعل مشتق من (ضل)، ومادة الضلال قد وردت في القرآن الكريم بمعان مختلفة: منها غيبة شيء في شيء، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَنَذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَنَّى لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. (60) وكقول العرب: ضل الماء في اللبن. ومنها النسيان، كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. (61)، ومنها الحيرة كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (62) إلخ...". (63).

الملاحظ في هذا النموذج أن الدهمة قد ساق ثلاث آيات قرآنية، وقول عربي للاستشهاد على مسألة لغوية معجمية تتعلق بمفهوم مادة (ضلال) التي ورد اسم فاعلها (الضالين) في الآية الكريمة؛ حيث عدّها مشتركا لفظيا، إلا أنه لم يصرح بذلك، وذكر من بين معانيها غيبة شيء في شيء، والنسيان، والحيرة إلخ...

- وذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (64)، عند تناوله لمسألة صرفية: "...ومؤنث الأقصى: القصوى ومنه قوله ﷺ في سورة الأنفال: ﴿إِنَّكُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ (65)، والصفة المشبهة من قضا يقصو، أو قصى يقصى قصي. ومنه قوله ﷺ في سورة مريم: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (66) " (67).

الملاحظ في هذا النموذج أنّ الدهمة قد ساق آيتين قرآنيتين للاستشهاد على مسألة صرفية تتعلّق بمؤنث كلمة (أقصى) والصفة المشبهة منها، وقد وردت هذه الكلمة في الآية الكريمة، فذكر أنّ مؤنثها (قصوى)، وأن الصفة المشبهة منها (قصي).

- وجاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (68) عند تناوله لمسألة نحوية قوله: "وقوله تعالى ﴿وَنُفِخَ﴾... ولكن عدل إلى صيغة الماضي الذي يدل على حصول شيء في زمن مضى قبل التكلم، فقيل "نفخ" لإفادة التحقيق، أي تحقيق وقوع النفخ. ونظير ذلك قوله ﴿وَجَلَّ فِي مَعْنَىٰ﴾ في مفتتح سورة النحل: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَمَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (69) بدلا من (سوف يأتي أمر الله) " (70).

الملاحظ في هذا النموذج أنّ الدهمة قد ساق آية قرآنية للاستشهاد على مسألة نحوية تتعلّق بعدول الفعل (نُفِخَ) الذي ورد في الآية الكريمة من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي لإفادة التحقيق، أي تحقيق وقوع النفخ.

- وذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ (71) أثناء تناوله لمسألة نحوية... وفعل استبق يصل إلى مفعوله بواسطة حرف الجر (إلى) ولكنه حذف هنا كما حذف حرف الجر (على) من قول الشاعر:

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم - إذن - علي حرام (72)

أي تمرون على الديار... ويصح أن يكون فعل (استبق) متضمنا معنى (ابتدر) الذي يتعدى إلى مفعوله بنفسه " (73). الملاحظ في هذا النموذج أنّ الدهمة قد ساق شاهدا شعريا للاستشهاد على مسألة نحوية تتعلّق بحذف حرف الجر (إلى) من الفعل (استبق) الذي ورد في الآية الكريمة، فتعدى إلى مفعوله بغير حرف الجر.

- وجاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (74) في تناوله لمسألة صرفية: "... والملكوت على وزن (فعلوت) بزيادة الواو والناء مبالغة في الملك أي الملك الواسع العظيم؛ وقد وردت في اللغة كلمات بهذا الوزن، قالوا: رحموت ورهبوت وجبروت. ومن أقوال العرب الشبيهة بالأمثال قولهم: رهبوت خير من رحموت، أي لأن تكون قويا يرهبك الناس، ويحترمونك خير لك من أن تكون ضعيفا ذليلا تستجلب الرحمة والشفقة منهم" (75).

الملاحظ في هذا النموذج أنّ الدهمة قد ساق شاهدا نثريا يتمثل في قول عربي للاستشهاد على مسألة صرفية تتعلّق بميزان كلمة (رحموت) التي وردت في الآية الكريمة على أنه (فعلوت).

- وجاء أيضا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَتَحْبِطُ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (76)، عند تناوله لمسألة بلاغية: "... ويقال (حبط) عمله بفتح الباء، (يحبط) بكسرها (حُبوطا) بضم الحاء، والمعنى الحقيقي للحب طائفة يحصل في بطن الدابة، بعد أن تأكل نبتة سامة تؤذي بها إلى الموت. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "إيمان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يُلِمُّ" (77) رواه ابن حبان، وهو مثل للحريص المفرط في الجمع والمنع. ثم استعير الحبط لتلاشي أعمال الإنسان الصالحة وبطلان ثوابها، ومن ثم هلاكه ودماره وعذابه، كَمَا تَهْلِكُ الدَابَّةُ مِنْ جَرَاءِ انْتِفَاحِ بَطْنِهَا لِأَكْلِهَا مَا يَضُرُّهَا" (78).

الملاحظ في هذا النموذج إذن أنّ الدهمة قد ساق حديثا نبويا للاستشهاد على مسألة بلاغية تتمثل في مفهوم كلمة (حبط) التي وردت في الآية الكريمة؛ حيث أشار إلى انتقال مفهومها من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي.

- وذكر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (79)، أثناء تناوله لمسألة بلاغية قوله: "... والتعبير عن الغيبة بأكل لحوم الناس معروف في لغة العرب منذ القدم، ومن ذلك قول الشاعر:

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا (80) " (81).

الملاحظ في هذا النموذج كذلك أنّ الدهمة قد ساق شاهدا شعريا للاستشهاد على مسألة بلاغية تتمثل في التعبير عن الغيبة بأكل اللحوم كما ورد في الآية الكريمة.

- و ذكر الدهمة في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ (82)، أثناء تناوله لمسألة نحوية: "...واللام في "لأوّل الحشر" هي لام التوقيت التي يؤتى بها لبيان الوقت الذي يبتدئ فيه عمل من الأعمال، وتفسر بـ"عند" أي عند أول الحشر... وقد وردت هذه اللام التوقيتية في آيات أخرى من القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى من سورة الإسراء: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ (83)، أي عند دلوك الشمس أي ميلها إلى جهة الغرب، وهو وقت الظهيرة الذي تصلى فيه صلاة الظهر. ويستمر الوقت الصالح لإقامة الصلاة فيه إلى غسق الليل أي ظلمته، ويدخل في ذلك أربع صلوات: هن الظهر والعصر والمغرب والعشاء" (84).

نلاحظ إذن في هذا النموذج أنّ الدهمة قد ساق آية قرآنية واحدة للاستشهاد على مسألة نحوية تتعلق بلام التوقيت التي وردت في الآية الكريمة، والتي تفسر بـ"عند".

- في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا﴾ (85) أثناء تناوله لمسألة نحوية: "... (كلا) يحتمل أن تكون للزجر والردع، وهو الغالب في استعمالها، كقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (86)، أي انزجروا عن هذا القول. وإذا كان الكلام الذي سبقها -هنا- ليس فيه ما يقتضي الزجر فمضمون الكلام بعدها يقتضيه وهو قوله ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ (87) ويحتمل أن تكون بمعنى (ألا) التي يفتح بها الكلام للتنبيه. ومن المفسرين من اعتبرها -هنا- بمعنى (حقا)، ولكن بعض اللغويين يرون أنها تكون بمعنى حقا إذا كانت مع القسم كقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾ (88) (89).

الملاحظ في هذا النموذج كذلك أنّ الدهمة قد ساق آيتين قرآنتين للاستشهاد على مسألة نحوية تتعلق بـ(كلا) التي وردت في الآية الكريمة؛ حيث ذكر أنها تستعمل عادة للردع والزجر، وقد تكون بمعنى (ألا) التي يفتح بها الكلام للتنبيه، وقد تكون بمعنى (حقا) شرط أن تجيء مع القسم كما ذكر بعض المفسرين.

- وذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (90)، أثناء تناوله لمسألة بلاغية: "... والنادي في الآية ليس المقصود منه مكان الاجتماع، وإنما المجتمعون فيه أنفسهم، أي: فليدع أنصاره الذين يلتقي بهم في ناديه، وأضيف النادي إلى ضميره باعتبار رئاسته فيه. وإطلاق النادي، وإرادة المجتمعين فيه من باب إطلاق المحل وإرادة الحال فيه (وهو مبحث بلاغي)، ومن ذلك قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ (91)، فالمراد بالقرية أهلها الحالون فيها، ضرورة أن القرية -وهي أبنية- لا تسأل حقيقة، ولا تجيب إن سئلت" (92).

نلاحظ إذن في هذا النموذج أنّ الدهمة قد ساق آية قرآنية واحدة للاستشهاد على مسألة بلاغية تتعلق بإطلاق المحل وإرادة الحال فيه في الآية الكريمة، وهذه علاقة من علاقات المجاز المرسل.

- وجاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (93) أثناء تناوله لمسألة لغوية معجمية قوله: "والأقرب إلى الصواب في دلالة لفظ (ألف) هنا أنه للدلالة على مجرد الكثرة لا على العدد المعين المعروف في الحساب، وذلك كقول العرب (رجل كألف وألف كأف)، لا يقصدون العدد المضبوط، ومن هذا الوادي قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (94)، ومن ذلك قوله ﷺ: "رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل" (95). ومن الألفاظ التي استعملها العرب لمجرد الدلالة على الكثرة لفظ سبعين، وتمشيا مع هذا الاستعمال العربي جاء قوله تعالى مخاطبا النبي ﷺ في شأن المنافقين: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (96)، فلا مفهوم للعدد... وإنما جاء تمييز العدد ألف بلفظ شهر، دون لفظ عام أو يوم (مثلا) لمراعاة الفاصلة التي هي الراء (القدر - شهر - أمر - الفجر) (97).

الملاحظ كذلك في هذا النموذج أنّ الدهمة قد ساق شواهد لغوية، وهي آيتان قرآنيتان وحديث نبوي، للاستشهاد على مسألة بلاغية تتمثل في استعمال لفظه (ألف) في الآية الكريمة لا للدلالة على العدد المعين المعروف في الحساب وإنما للدلالة على الكثرة تماثيا مع استعمال العرب لهذا العدد ولأعداد أخرى كسبعين.

- وذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلِهَآكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (98)، أثناء تناوله لمسألة بلاغية: ". واختيار التعبير عن الموت بزيارة القبور يوحي بأن الأموات لا يبقون في قبورهم إلى ما لا نهاية له، فكما أن الزائر لا يلبث عند مزوره إلا مدة قصيرة يعود بعدها إلى منزله، كذلك الميت يبقى في قبره مدة يعلمها الله، ثم يُبعث منه فيصير إلى منزله المعدّ له في الجنة أو في النار... والكناية عن الموت بزيارة القبور شائعة في لسان العرب، قال الشاعر جريز: زَارَ الْقُبُورَ أَبُو مَالِكٍ صَبِيحَ الْأُمِّ زُورَاهَا (99)

وذكر أن بعض الأعراب سمع رجلا يتلو هذه الآية، فقال: "بُعْثُوا رَبَّ الْكَعْبَةِ"، فقيل له فيما ذلك، فقال: "لأن الزائر لا بد أن يرحل" (100).

فالملاحظ إذن في هذا النموذج أنّ الدهمة قد ساق شاهدين من كلام العرب، وهما بيت من الشعر و قول لأحد الأعراب للاستشهاد على مسألة بلاغية تتعلق بالتكثيرة عن الموت بزيارة القبور، كما جاء في الآية الكريمة، وهذا على ما ثبت استعماله عند العرب.

- وجاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ (101)، أثناء تناوله لمسألة صرفية قوله "...أبَابِيل جماعات متلاحقة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، يقال: جاءت إبلة أبابيل، وقيل إن له واحدا من لفظه وهو إبالة، ومن ذلك قول العرب (ضغث على إبالة) أي حزمة صغيرة من الحشيش أو العيدان أو نحوهما فوق حمل كبير من الحطب، يضرب مثلا لهم صغير يضاف إلى هم كبير" (102).

الملاحظ في هذا النموذج كذلك أنّ الدهمة قد ساق شاهدا نثريا وهو مثل عربي للاستشهاد على مسألة صرفية معجمية تتعلق بواحد (أبابيل) التي وردت في الآية الكريمة على أنه (إبالة).

- وجاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (103)، أثناء تناوله لمسألة لغوية معجمية قوله: "... الكوثر: كلمة على وزن فَوْعَل، تدل على الشيء الكثير من العدد أو القدر، أو الخطر، قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر، بم آب ابنك؟ قالت: بكوثر؛ ويطلق (الكوثر) أيضا على السيد الكثير الخير، الذي ينفع الناس، قال الكميت يمدح أحد الأمراء

وَأَنْتَ كَثِيرٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ طَيْبٌ وَكَانَ أَبُوكَ ابْنَ الْعَقَائِلِ كَوْثَرًا (104) (105)

الملاحظ في هذا النموذج أنّ الدهمة قد ساق شاهدين من كلام العرب، قول لأعرابية وبيت من الشعر للاستشهاد على مسألة لغوية معجمية تتعلق بمفهوم كلمة كوثر التي وردت في الآية الكريمة، على أنها تدل على الشيء الكثير من العدد أو القدر، أو الخطر، كما تدل أيضا على السيد الكثير الخير، الذي ينفع الناس.

وختاما، ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن الشواهد اللغوية عُدت ركيزة من الركائز التي استند إليها التفسير اللغوي؛ إذ يرجع إليها المفسر في أبعادها التفسيرية، ومنها البعد الفقهي و التشريعي والأخلاقي و الاجتماعي، إضافة إلى ما يستوقف المفسر من مسائل لغوية تعترضه أثناء التفسير، ومنها المسائل النحوية، والبلاغية، والمعجمية، والصرفية، والصوتية، وأوجه القراءات، إلى غيرها من المسائل.

وتأتي أهمية الشواهد اللغوية في تفسير القرآن لكون هذا الأخير نزل بلغة العرب، فهي إذن المرجع والأصل الذي نعود إليه في فهم معانيه واستنباط أحكامه، وهذا ما أكده الصحابة ﷺ، وعملوا به في عهد النبوة، واقتفى أثرهم بعد ذلك من جاء من المفسرين .

وقد رأينا من خلال النموذج المدروس "قطوف دانية من سور قرآنية" للشيخ الأخضر الدهمة، أن هذا المفسر قد حذى حذو سابقه في تفسيره لأي القرآن الكريم، فاستعان بالمصدر الأول للاستشهاد وهو القرآن الكريم، في فهم دلالات كتاب الله، إضافة إلى ما ساقه من شواهد الأحاديث، ولم يُغفل مخزون اللغة العربية من شعر ونثر، ليعضد به ما ذهب إليه في توضيح المسائل اللغوية، وغير اللغوية.

غير أن ما يجب أن نؤكد عليه أن هذه الشواهد التي استعان بها المفسرون بصفة عامة، في بيان وتوضيح معاني كتاب الله - وإن تناولها كثير من الباحثين بالدراسة - لا تزال أرضا خصبة ومجالا غضا يستهوي الباحثين، ويفتح لهم آفاقا رحبة في البحث والتحليل.

الإحالات:

- 1 التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس 1984، الجزء 1، ص 18.
- 2 سورة الأحقاف، الآية 10.
- 3 النهاية في غريب الحديث و الأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري الأثير، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1421هـ، ص 497.
- 4 نفسه، ص 497.
- 5 البيت من ديوان الأعشى، تحقيق محمد محمدحسين، مكتبة الآداب الجماهير، المطبعة النموذجية، مصر ص 193.
- 6 ينظر لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة، ص 2348.
- 7 القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 8، 1426هـ، 2005م، ص 896.
- 8 الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، قابله على نسخة خطية وأعدّه للطبع ووضع فهرسه عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط 2، 1419هـ-1998م، ص 527.
- 9 وينظر جبر، يحيى عبد الرؤوف، الشاهد اللغوي، مجلة النجاح للأبحاث، ج 2، العدد السادس، 1992م، ص 256.
- 10 المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، مكتبة لبنان، 1987م، ص 180.
- 11 سورة الفرقان، الآية 33.
- 12 القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 456.
- 13 لسان العرب، ابن منظور، ص 3412.
- 14 التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة القاهرة، ج 1، ص 13.
- 15 نفسه، ج 1، ص 12.
- 16 التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط 1، رجب 1422هـ، ص 38.
- 17 جامع البيان عن تأويل أي القرآن، أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، القاهرة، 1422هـ-2001م، ج 1، ص 88.
- 18 مجاز القرآن، أبو عبيدة عمر بن المنثي التيمي، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي القاهرة، ج 1، ص 8.
- 19 فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط 1، 1415هـ-1995م، ج 2، ص 178.
- 20 فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، أبو عبيد القاسم بن سلام، ج 2، ص 173.
- 21 مسائل نافع بن الأزرق" أخرجها الطبراني (الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني) في المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ج 10، ص من (304 إلى 312) من رواية جويبر بن سعيد عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس، وجويبر متروك عند جمهور نقاد الحديث النبوي، لكنها عند السيوطي في الإتيان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية ج 3، ص 848 مائة وتسعة وثمانون مسألة.
- 22 ينظر بحث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، ط 4، 1419هـ، ص (من 114 إلى 135)
- 23 المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط 1، 1420هـ-2000م، ص 94.
- 24 تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 1، 1418هـ-1997م، ط 2، 1430هـ-1999م، ج 1، مقدمة ابن كثير، ص 7.

- ²⁵ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني حقه وضبط نصه، وخرَجَ أحاديثه وعلَّق عليه مجموعة من الأساتذة، دار الرسالة العالمية، ط 1، 2009م-1430هـ، ج 7 ص 13 رقم الحديث (4604).
- ²⁶ المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد حسين علي الصغير، ص 94.
- ²⁷ الإتيان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، ج 6، ص 2275.
- ²⁸ المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد حسين علي الصغير، ص 95.
- ²⁹ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ج 2، ص 157.
- ³⁰ المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد حسين علي الصغير، ص 96، وينظر أقسام التفسير ومناهجه عند المسلمين، محمد حسين علي الصغير، مجلة التقريب تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، العدد 3، محرم 1424هـ-2003م.
- ³¹ البرهان، الزركشي، ج 2، ص 160 و ص 164.
- ³² نور الشعر العربي في تفسير القرآن الكريم، هاني إسماعيل محمد، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 557، نوفمبر 2011م.
- ³³ الشاهد الشعري في تفسير القرآن أهميته ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، عبد الرحمن بن معاضة الشهري، مكتبة دار المنهاج المملكة العربية السعودية الرياض، ط 1، ذو القعدة 1431هـ، ص 209.
- ³⁴ شرح ديوان الحماسة، أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي الشهير بالخطيب، عالم الكتب، بيروت، ج 1، ص 3.
- ³⁵ سورة الجمعة، الآية 1، وسورة التغابن، الآية 1.
- ³⁶ راجع تفسير الطبري، ج 1، ص 504، والمفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، ص 221.
- ³⁷ تفسير غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978 م، ص 8.
- ³⁸ الشاهد النحوي مصادره وأهميته في الدرس النحوي، عمار مصطفى، مجلة عود الند، العدد 101.
- ³⁹ سورة آل عمران، الآية 110.
- ⁴⁰ قائله الفرزدق، وشطره الأول: فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ بِدَارِ قَوْمٍ وهو في ديوانه، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعو، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1407هـ-1987م، ص 597.
- ⁴¹ إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، ص 890.
- ⁴² البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1413هـ-1993م، ج 1، ص 109.
- ⁴³ نفسه، ج 1، ص 111.
- ⁴⁴ سورة البقرة، الآية 7.
- ⁴⁵ الغنمة العجمة، الأعمى الأعجم الذي لا يفصح شيئا.
- ⁴⁶ جاء في الصحاح: أفضمت الإثاء ملأته، وفيه أيضا: نيل ذائل، وهو الهوان والخزي.
- ⁴⁷ ناقة ضبوث، يشك في سمنها فتضيب، أي تجس باليد.
- ⁴⁸ وجاء أيضا في تهميش الصفحة نفسها: فلا تسأليني وأسألني عن خليقتي إذا رد عافي القدر من يستعيرها
- فكاتبوا قعودا فوقها يرقبونها وكاتبت فتاة الحي ممن يعيرها**
- ⁴⁹ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط 1، 1418هـ-1998م، ج 1، ص 167.
- ⁵⁰ سورة النساء، الآية 82.
- ⁵¹ النشر في القراءات العشر، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت 833هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 49.
- ⁵² مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 1، ص 142، و النشر في القراءات العشر، ج 2، ص 52.
- ⁵³ سورة مريم الآية (77-78).
- ⁵⁴ البيت في اللسان (ول د)، وفي المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها، عثمان بن جني أبو الفتح، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1415هـ-1994م، ج 1، ص 365، من غير نسبة، وفيه (زيادا) بدل (فلانا) في الشطرين.
- ⁵⁵ البيت في معاني القرآن للفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، ط 3، 1403هـ-1983م، ج 2، ص 173، واللسان (ولد).
- ⁵⁶ البيت ليس في ديوانه، وذكره ابن كثير في تفسيره تفسير القرآن العظيم، أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ج 5، ص 260.
- ⁵⁷ مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري، الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 1374هـ-1955م، ج 2، ص 363.
- ⁵⁸ تفسير الطبري، ج 15، ص (619-620).
- ⁵⁹ سورة الفاتحة، الآية 8.
- ⁶⁰ سورة السجدة، الآية 10.

- ⁶¹ سورة البقرة، الآية 282.
- ⁶² سورة الضحى، الآية 7.
- ⁶³ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، مطبعة مداد-غرداية- الجزائر، 1431هـ-2010م، ج1، ص(46-47).
- ⁶⁴ سورة يس، الآية 20.
- ⁶⁵ سورة الأنفال، الآية 42.
- ⁶⁶ سورة مريم، الآية 22.
- ⁶⁷ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج1، ص 97.
- ⁶⁸ سورة يس، الآية 50.
- ⁶⁹ سورة النحل، الآية 1.
- ⁷⁰ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج1، ص 144.
- ⁷¹ سورة يس، الآية 65.
- ⁷² البيت لجريير وهو في ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ-1986م، ص416 برواية: أتمضون الرسوم ولا تُحَيَّا.
- ⁷³ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج1، ص 161.
- ⁷⁴ سورة يس، الآية 82.
- ⁷⁵ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج1، ص194.
- ⁷⁶ سورة الحجرات، الآية 2.
- ⁷⁷ صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط1، سنة النشر 1427هـ-2006م، رقم الحديث (1052) ص465.
- ⁷⁸ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج1، ص213.
- ⁷⁹ سورة الحجرات، الآية 12.
- ⁸⁰ البيت في الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ج2، ص739.
- ⁸¹ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج1، ص(276-277).
- ⁸² سورة الحشر، الآية 2.
- ⁸³ سورة الإسراء، الآية 7.
- ⁸⁴ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج1، ص(333-334).
- ⁸⁵ سورة العلق، الآية 6-7.
- ⁸⁶ سورة الشعراء، الآية 61-62.
- ⁸⁷ سورة العلق، الآية 9-10.
- ⁸⁸ سورة المدثر، الآية 31-32.
- ⁸⁹ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج1، ص70.
- ⁹⁰ سورة العلق، الآية 17-18.
- ⁹¹ سورة يوسف، الآية 82.
- ⁹² قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج2، ص80.
- ⁹³ سورة القدر، الآية 3.
- ⁹⁴ سورة البقرة، الآية 96.
- ⁹⁵ الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ص522.
- ⁹⁶ سورة التوبة، الآية 80.
- ⁹⁷ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج2، ص(95-96).
- ⁹⁸ سورة التكاثر، الآية 1-2.
- ⁹⁹ لسان العرب (ك ت ر).
- ¹⁰⁰ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج2، ص(176-177).
- ¹⁰¹ سورة الفيل، الآية 3.
- ¹⁰² قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج2، ص(226-227).
- ¹⁰³ سورة الكوثر، الآية 1.
- ¹⁰⁴ ديوان الكميت، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل الطريفي، دار صادر بيروت، ط1، 2000م، ص177.
- ¹⁰⁵ قطوف دانية من سور قرآنية، الأخضر الدهمة، ج2، ص257.